بين يدى هذا الكتاب

باسم الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .. وبعد .. فإن الأمم الناهضة تعمل على وصل ماضيها بحاضرها ، وتعريف أبنائها بما حققه أسلافهم فى شتى الميادين ! .

ألا وإن تراث أمتنا زاخر بشتى ألوان العلم والمعرفة ؛ فما أجدرنا بالعمل على إحيائه ، وبذل الجهود لجمع شتاته ، وتحقيق أمهاته ، ودراسة موسُوعاته دراسة تأمل واستيعاب ، كى يتسنى تقديمه للأجيال المحبة لتراثها فى صورة ملائمة للعصر تتيح لهم الاستفادة والمتعة ، ومعايشة ذلك التراث العظيم بدلاً من أن تعبث به يد الإهمال والضياع !! .

ولقد بدأنا نختار للقارىء العربى من كتب التراث ما يدعم مكتبته ، ويرضى ذوقه ، ويحقق رغبته ، وينفعه فى دينه ودنياه ، ويعينه فى معترك الحياة .

وكان على رأس الموضوعات التى قررنا أن نقدمها للقارىء العربى ما تضمنته كتب التراث من طبائع النساء وأخبارهن ، وما يحمد ويذم من عشرتهن وما فى هذه الحياة من غرائب وعجائب لنزداد لهن فهما ، ومنهن قربا ، وبهن معرفة وأنسا ، فتطمئن القلوب ، وتسعد النفوس ، وتسكن الأرواح ، وتنتعش الأفئدة ، وتقر العيون ، وترفرف أعلام السعادة فى كل بيت .

ولا عجب ، فالمرأة قد « ملأت الدنيا وشغلت الناس » وما يقدم عنها من كتابات لا يُسهم فى وضع الأساس ، ولا يكاد يسمن أو يغنى من جوع ، وكأنى بالقراء يقولون : هل إلى كتب التراث من عودة ورجوع ؟! .

وعكفنا على كتب التراث ندرس .. ونبحث .. ونوازن .. ونقارن حتى انتهى بنا المطاف عند ابن عبد ربه صاحب « العقد الفريد » ذلك الكتاب الذى ألفه صاحبه لأهل المغرب فجمع فيه أشتاتا من ذخائر أهل المشرق مما تضمنته الموسوعات الكبرى مثل : « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، « والبيان والتبيين » للجاحظ ، « والكامل » للمبرد .

إنه الكتاب الثانى بعد كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى فى منزلته العلمية وقيمته الأدبية ، فالكتاب إذن اسم على مسمى .. كل حبة من حباته الخمس والعشرين باب من أبواب العلم والمعرفة التى لا غنى عنها لرواد الأدب ومحبى التراث ، فلا عجب إذا ما رأينا النفوس إليه مشتاقة ، والقلوب تواقة .

وكلما مرت الأيام يزداد « العقد الفريد » تألقا ، وتغلو قيمته ، وترتفع مكانته ؛ ليأخذ مكانه – فى المكتبات العامة – بين المراجع والموسوعات التى لا تعار !!، والقارىء الناشىء يجتر آلامه ، ويبكى أحلامه ، فى الحصول عليه وعلى إخوة له آثروا ذلك المكان ليظلوا فى الحفظ والصون بعيدا بعيدا عن متناول القراء !! .

وكأنى بالقارىء يعزى نفسه مرددا :

هى الشمس مسكنها فى السماء فعزّ الفؤاد عزاءً جميلا
فلن تستطيع إليها الصعود ولن تستطيع إليك النزولا !!

ولكن كيف السكوت على هذا والعقد الفريد – كما قلنا – هو الكتاب الثانى بعد الأغانى ؟! إنه يقع فى ثمانية أجزاء وتقديمه كله تحول دونه عقبات وصعاب ، والاختيار من بين حباته أمر عسير فكل حباته درر ولآلىء !! .

ويتراءى لنا الحل الذى يخرجنا من حيرتنا ؛ فما جمعه ابن عبد ربه عن النساء يعد مرجعا وافيا ، بل قل – فى غير مبالغة – هو موسوعة نسائية تجد فيه الخبرة الصادقة ، والنظرة العميقة ، والرأى الصائب ، والتجربة الرائدة ، وممن ؟ من عليم بالنساء خبير !! .

وكيف لا يكون عليما بهن من كان إذا رأى غزالا وقف يتأمله ثم يقول :

فعيناك عيناها وجيدُك جيدها غير أن عظم الساق منك دقيق !!

وكيف لا يكون صاحب تجربةٍ مُعَاشَةٍ من كان إذا رأى بعيره يقف إلى جوار ناقة محبوبته يهتف من أعماقه :

أحبهـــــا وتحبنى ويحب ناقتها بعيرى !!

ومن أجل هذا كله رحنا نقلب حبات العقد الفريد وأجزاءهُ .. حبة حَبَّة ، وجزءًا جزءًا ، ولم ندع شيئا يتعلق بالنساء إلا وجمعناه ثم رتبناه ترتيبا ، وقسمناه أبوابا ، واخترنا لها من العناوين ما يلائمها فأخذنا من الجزء السابع : [قولهم فى المناكح ، وفى النساء وصفاتهن ، وصفة المرأة السوء وعلامة الحب والبغض، وصفة الحسن ، والمنجبات من النساء ،ومن أخبار النساء ، وباب الطلاق ، وفى مكر النساء وغدرهن ، والهجناء ، وباب فى الأدعياء ، وفى الباه وما قيل فيه ، وفى النكاح] .

ومن الجزء الثامن : فى المفاكهات ، وما يكتب على العصائب وغيرها والمضحكات .

ثم عرَّجنا على بقية الأجزاء فأخذنا من الجزء الأول : [الوافدات على معاوية] ومن الجزء الثانى : [من يضرب به المثل من النساء ، ومن أمثال العرب ثم القول عند الموت] .

ومن الجزء السادس : أخذنا : [قولهم فى رقة التشبيب ، وقولهم فى النحول ، وقولهم فى التوديع] .

فكان لنا هذا الحصاد .. الذى عملنا — ما وسعنا الجهد — على تقديمه فى الصورة الملائمة ، ولقد أعطيناه حقه من التنسيق والترتيب ، والتنظيم والتبويب ، والضبط والشرح ، والتقديم والتعليق .

وهاهو ذا بين يديك جاء متعة للقارىء ، ودليلا وافيا للباحث ومرجعا

لمن يهتمون بالتراث .. خاليا مما يؤذى المشاعر ، أو يخدش الحياء كما تقضى بذلك أخلاقيات النشر ، ورسالة العلم و العلماء !! .

فهل ترانى قد حققت لك بعض الأمل والرجاء ؟ ؟ .

إن كان هناك من توفيق فمن الله .. ثم من الرغبة الصادقة فى تقديم ما ينفع القارىء فى دينه ودنْياه .

ومنتهى أملى أن أحظى برضوانٍ من الله .

المحقق

محمد إبراهيم سليم

القاهرة : فى غرة رجب سنة ١٤٠٥ هـ

٢٤ مارس سنة ١٩٨٥ م

الكتاب والمؤلف :

العقد الفريد

مجموعة أدبية ضمنها ابن عبد ربه مارآه جديرا بالتدوين من فروع الأدب وهو من أمهات كتب التراث ، فقد حوى خير ما ألف فى موضوعه من الكتب السابقة عليه ، ولم يقتصر على ما عرفه العرب ، بل نقل عن الكتب التى ترجمت إلى العربية فى زمنه عن اليونانية والهندية والفارسية .

منهجه :

قد أوضح منهجه فى التأليف فى مقدمة الكتاب ، فذكر أنه تخيره من متخير جواهر الأدب ومحصول جوامع البيان ، وأنه ليس له إلا تأليف الاختيار ، وحسن الاختصار ، وفرش فى صدر كل كتاب ، وقد جمع نظائر الكلام وأشكال المعانى فقرن كل جنس منها إلى جنسه ، وجعل كل جنس بابا على حدة ، وقد عمد إلى أشرفها جوهرا ، وأظهرها رونقا ، وألطفها معنى ، وأجزلها لفظا وأحسنها ديباجة ، وأكثرها طلاوة وحلاوة ، وأنه رأى الكتب قبله قاصرة فجعل كتابه جامعا لأكثر المعانى التى تجرى على أفواه العامة والخاصة ، وتدور على ألسنه الملوك والسوقة .

فهو مختار ومُنشيء معا ؛ حيث يقدم الباب بمقدمة من إنشائه وقد يتبع الباب بما ينشئه من شعره ، وله آراء جليلة فى النقد الأدبى شائعة فى الكتاب .

تقسيم الكتاب وتبويبه :

لقد تصور المؤلف كتابه عقدا مؤلفا من خمس وعشرين جوهرة كريمة اثنتا عشرة منها فى جانب ومثلها فى الجانب الآخر ، وواحدة فى الوسط واختار لكل جوهرة من الجواهر الاثنتى عشرة اسما : لؤلؤة .. فريدة .. زبرجدة

جمانة – مرجانة ... ياقوته ... جوهرة ... زمردة ... درة ... يتيمة ... عسجدة ... ومجنبة ... وتتكرر الأسماء فى الجانب الآخر أما جوهر الوسط فهو واسطة العقد .

قيمته الأدبية :

للعقد قيمة أدبية من حيث النقد الأدبى إلى جانب مجموعة كبيرة من الأمثال صنفت حسب موضوعاتها ، وقد اشتمل على عيون الخطب والقصص والنوادر وضمَّ الألوف من أبيات الشعر لأكثر من مائتى شاعر من العصر الجاهلى والأموى والعباسى . .

إنه مجموعة متخيرة من جواهر الأدب ، ولكنه لم يعن بالإسناد وإن كان قد أحسن الاختصار ، وأجاد الاختيار .

قيمته التاريخية

يعد العقد من المصادر التى يرجع إليها الباحثون فى تاريخ العرب السياسى والاجتماعى والأدبى .

وإذا كان العرب قد أطلقوا على قصائدهم الطويلة الخالدة من تراث العصر الجاهلى اسم المعلقات ، لأنها جديرة بأن تعلق بالقلوب لجودتها ، أو تشبيها لها بعقود الدر التى تعلق على صدور الحسناوات فإن ابن عبد ربه المغربى الأندلسى القرطبى حينما فتح عينيه على أدب المشرق : شعره ونثره ، راح يجمع أصدافه ولآلئه ودره وجواهره ويصوغها عقدا فريدا تتيه به اللغة العربية ، وستظل على مدى الأيام تفخر بدُراتِه مرددة على سمع الدنيا :

« ودُرَّاتُه فرائد عقدى »

★ ★ ★

المؤلف :

فى قرطبة ولد ابن عبد ربه ذات يوم من عام ٢٤٦هـ – ٨٦٠ م وبها عاش طول حياته ، وفيها توفى عام ٣٣٨ هـ – ٩٤٠ م .

ويذكر المؤرخون فى نسبه أنه : « أبو عمرو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم القرطبى » .

وعن تحصيله يقول ابن خلكان : « كان من العلماء المكثرين من المحفوظات ، والاطلاع على أخبار الناس » .

وقد انتمى إلى بلاط الأمير محمد بن عبد الرحمن الداخل شابا فتيا ولازمه طول مدة إمارته (٨٥٢ – ٨٨٦ م) وترك هذا فيه أبلغ الأثر .

وقد لازم ابن عبد ربه بعد الأمير محمد ابنه المنذر ثم أخاه عبد الله من بعده ، وعبد الرحمن الناصر أخيرا ، وكان معهم جميعا شاعر البلاط ونديمه .

كان ابن عبد ربه كاتبا وشاعرا ووشَّاحاً

وفى مجال الكتابة نجد مقدمات لأبواب عقده ، وهى تمتاز بوضوح العبارة ، ودقة الأسلوب ، وازدواج الجملة ، والخلو من الغريب ، والبعد عن التكلف والتعقيد .

وتنسب إليه المصادر الأندلسية أنه كان وشاحا ، ويذهب بعضها أنه مبتدع فن التواشيح .

أما شعره فكان موضع إعجاب القدامى وتقديرهم ، قال عنه الفتح بن خاقان : « إنه حجة الأدب ، وإن له شعرا انتهى منتهاه ، وتجاوز سِماكَ الإحسان وسُهاه » .

وروى ياقوت فى « معجم الأدباء » أن أبا الوليد بن عسال لقى المتنبى

فى مسجد عمرو بن العاص ، وأن المتنبى قال له : « أنشدنى لمليح الأندلس ، يعنى ابن عبد ربه فأنشده :

يالُؤلؤاً يَسبى العُقولَ أنيقـا
ورَشاً بتقطيع القلوبِ رقيقـا
ما إن رَأيْتُ ولا سمعت بمثلـه
دُرا يعود من الحياء عقيقـا
وإذا نظرتَ إلى محاسنِ وجهـه
أبصرت وجهك فى سناه غريقـا
يامن تَقَطَّعَ خصرُه من رِقـة
ما بال قلبك لا يكون رقيقـا ؟!

فاستعاده المتنبى ، ثم صفق بيديه وقال :

« يا ابن عبد ربه لقد يأتيك العراق حَبْواً » .

وقد شهر ابن عبد ربه بكتابه « العقد الفريد » وليس له بين أيدينا كتاب آخر .

طبعات العقد الفريد ومختصراته :

● طبع العقد الفريد عدة مرات فى مصر وكان من أوائل مانشر من كتب الأدب :

١ – طبع فى مطبعة بولاق للمرة الأولى سنة ١٢٩٢ هـ – ١٩٧٥ م .

٢ – وفى المطبعة العثمانية عام ١٣٠٢ هـ – ١٨٨٤ م .

٣ – وفى المطبعة الشرقية عام ١٣٠٥ هـ – ١٨٨٧ م .

٤ – وطبع ثانيا فى المطبعة نفسها عام ١٣١٦ هـ – ١٨٩٨ م .

٥ – وفى المطبعة الأزهرية عام ١٣٢١ هـ – ١٩٠٣ م .

٦ – وفى المطبعة الجمالية عام ١٣٣١ هـ – ١٩١٢ م .

٧ – ونشره مصطفى محمد عام ١٣٥٣ هـ – ١٩٣٤ م .

٨ – ثم طبعته المطبعة التجارية طبعة أخرى ١٣٦٢ هـ – ١٩٤٣ م بتحقيق محمد سعيد العريان .

٩ – وأجود الطبعات كانت عام ١٢٥٩ هـ – ١٩٤٠ بتحقيق – أحمد أمين والابيارى وأحمد الزين .

١٠– ونشرته دار الكتب العلمية بلبنان ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٣ م .

وقد تم اكتشاف عدد من مخطوطات العقد الفـريد فى مكتبات المغرب لم تكن معروفة من قبل مما يجعل من المفيد إعادة تحقيق العقد فى ضوء ما تتضمنه هذه المخطوطات من جديد .

المختصرات :

وقد اختصر العقد الفريد اثنان من القدامى :

الأول : أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن الوادى أشى القيسى المتوفى عام ٥٧٠ هـ – ١١٧٤ م ، وهو أندلسى من وادى أش ، مدينة جميلة تقع فى مقاطعة غرناطة بإسبانيا الآن .

والثانى : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصارى الخزرجى الشهير بابن منظور صاحب معجم « لسان العرب » والمتوفى عام ٧١١ هـ – ١٣١١ م .

واختصر حديثا مرتين :

الأولى : عندما عمدت لجنة من أساتذة دار العلوم إلى اختصاره استجابة لرغبة وزارة المعارف آنذاك فاختارت بعض أبوابه وانتقت من بعض أخبارها ، وسمته « مختار العقد » ونشر عام ١٩١٣ .

والثانية : تمت من عشرين عاما عندما نشرت وزارة الثقافة بعض مختاراته فى سلسلة كانت تشرف على إصدارها .

منهج التحقيق

● جمعنا ما تناثر هنا وهناك من حبات العقد « فى النساء وصفاتهن وما يحمد ويذم من عشرتهن » .

● قسمناه ثمانية أبواب ، واخترنا لها عناوين تطابق محتواها ، وتلائم فحواها ، وقدمنا للأبواب التى لم يقدم لها ابن عبد ربه بما يلقى الضوء عليها ، ويحقق الهدف المنشود منها ، وأضفنا بابا تاسعا فى نهاية الكتاب جمعناه من فقه اللغة للثعالبى فى محاسن المرأة وأوصافها الخلقية والخلقية يرجع إليه القارىء لإيضاح ما غمض من الألفاظ التى تضمنتها نصوص الكتاب وسميته « المعجم النسائى » مما لابد للقارىء العربى من الإحاطة به . وإن كنا لم ندخر وسعا فى إجلاء ما غمض ، وتقريب ما بعد ، وتيسير ما عسر .

● كنا أمناء على النص وتحقيقه فرجعنا إلى المصادر التى نقل عنها ابن عبد ربه ولم نزد عليه ، ولم نحذف منه إلا ما يخدش الحياء ، وينفر منه الذوق .

● خرجنا آياته ، وضبطنا ما يحتاج إلى ضبط من كلماته وعباراته .

● راعينا علامات الترقيم ، ووضع الجمل والفقرات ، لنتيح للقارىء متعة معايشة النص وتذوق الجمال فيه ، ولم يفتنا أن نترجم للأعلام بما يساعد على معايشة النص .

● اخترنا للكتاب عنوانا ، وقدمنا بين يديه عرضا لما جاء عن النساء فى القرآن الكريم ، كما سلطنا الضوء على طبعات العقد الفريد ومختصراته ومخطوطاته بعد أن تحدثنا عن منزلة ابن عبد ربه ، ومنهجه فى التأليف ، وتقسيم الكتاب وتبويبه ، وقيمته الأدبية والتاريخية .

وها هى ذى أبواب الكتاب ، والعناوين التى تم اختيارها :

الباب الأول : فى اختيار الخليلة الصالحة ، والزوجة الموافقة ، وما يحمد من عشرة النساء .

الباب الثانى : لطائف من أخبار النساء وطرائف من حياتهن .

الباب الثالث : النساء المنجبات وأبناء السرارى والإماء .

الباب الرابع : سمات الجمال ، وأحوال المحبين .

الباب الخامس: طبع الأنثى وما يذم من عشرة النساء .

الباب السادس: أبغض الحلال إلى الله الطلاق .

الباب السابع : عندما ينقطع الرجاء ، ويكتب علينا الفراق .

الباب الثامن : نماذج للزعامة ، وحسن السفارة ، ومن يُضربُ به المثل منهن .

الباب التاسع : المعجم النسائى « من فقه اللغة للثعالبى » .

وأسأل الله – سبحانه-أن يجد القارىء فى هذا الكتاب ، ما يحقق أمله ، ويرضى ذوقه ، وينعش روحه ، ويمتع فؤاده .

إنه أكرم مسئول ...

هكذا خلقت !!

نعايش المرأة .. ولا نكاد فى حياتنا نستغنى عنها ! .

الصلة بيننا وبينها وثيقة ؛ فهى أم ، وأخت ، وزوجة ، وبنت ، وشقيقة .

ومنا من ينعم بقربها !! .

ومنا من يحترق بلهيب نارها ! .

ويحار فيها الفكر أحيانا ، فيصرخ الرجل ، لقد ضاع من قدمى الطريق ! يالشقائى !! إننى لا أستطيع أن أعيش معها .. ولا أستطيع العيش بدونها !! فكيف السبيل ؟! وأين الطريق ؟! .

قال عنها الفلاسفة والشعراء ما قالوا ، وأطلقوا العنان لتصوراتهم وتخيلاتهم فى وصف طبيعتها كما بدت لهم فقالوا عنها :

فيها من القمر استدارته . .

ومن البحر عمقه . .

ومن النجوم لمعانها . .

ومن شعاع القمر حرارته . .

ومن الندى قطراته . .

ومن الريح تقلباتها وعدم ثباتها . .

ومن النبات ارتجافه وارتعاشه . .

ومن الورد لونه وعطره . .

ومن الأزهار مخملها . .

ومن الأوراق خفتها . .

ومن الأغصان تمايلها . .

ومن حفيف الأشجار حنينها وأنينها ..

ومن النسيم لطفه ورقته . .

ومن العسل طعمه وشهده . .

ومن الذهب شعاعه . .

ومن الماس قساوته . .

ومن الحية حكمتها . .

ومن الحرباء تلونها . .

ومن الغزال شروده . .

ومن المها عيونها . .

ومن الأرنب خجله وحياءه . .

ومن الطاووس خيلاءه وزهوه . .

ومن الأسد شراسته وقوته . .

ومن الزمن خيانته وغدره . .

ومن الثعلب مكره وروغانه . .

ومن اليمامة نغمتها . .

ومن العقرب لذعته . .

ومن الببغاء هذيانها ، وكثرة كلامها .

★ ★ ★

وتسمع ما يقال عنها ، فيغرها الثناء ، ويدفعها العناد والكبرياء ، فتمضى فى طريقها وهى تردد :

هم يقولون ! ماذا يقولون ؟ دعهم يقولون ! .

ومنا من يقبلها على عِلَّاتها ، ويقول كما قال النحويون : « أىّ هكذا خلقت » ! .

ومنا من يتوجس خيفة من الإقبال عليها فيعكف على دراسة شخصيتها ، ومعرفة أسرارها وطبيعتها .. ويظل يبحث ويبحث حتى يفوته القطار ، وتصبح حياته ليلا بلا نهار !! .

وفى كتاب الله ، وسنة رسوله مايلقى الضوء الأخضر ، ويؤمن مسيرتنا فى رحلة الحياة ، ويرشدنا إلى طريق السلامة والنجاة . .

﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ (١٤ : الملك) .

فتعال نتصفح معا كتاب الله ! .

فكم تتطلع نفوسنا أولا وأخيرا إلى القرآن الكريم وآياته لتهتدى بهداه وتسير على ضوئه .. ونفتح المصحف الشريف فإذا به يحدثنا عن ذلك الرباط – من صنع الله – الذى يجمعنا منذ بدء الخليقة :

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ﴾ [١ : النساء] .

● فكلانا ينتمى إلى الخالق المبدع ونحن جميعا صنعته وخلقته :

﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى ﴾ [٤٥ : النجم] .

● ومنتهى أمل المؤمن أن يهب الله له زوجة صالحة ولذلك كان الدعاء .. وكانت الاستجابة :

﴿ هَبْ لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ﴾ [٧٤ : الفرقان] .

﴿ فاستجبنا له ، ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ﴾ [٩٠ : الأنبياء]

● ومنهن البنون والحفدة وفيهن تتجلى نعمة الله علينا :

﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ [٧٢ : النحل] .

● وليس من اللائق أن تنصرف النفوس عن المحللات من الزوجات إلى غيرهن ﴿ وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ﴾ [١٦٦ : الشعراء] .

● فهن زهرة الحياة الدنيا ومتعتها ، وفتنتها :

﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير وأبقى ﴾ [١٣١ : طه] .

● وعلى العاقل ألا تغريه الزينة أو يجرفه حب الشهوات :

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ﴾ [١٤ : آل عمران]

● وشأن المسلمين والمسلمات أن يختاروا قيم الدين ويؤثروها على متع الدنيا :

﴿ يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما ﴾ [٢٨ - ٢٩ الأحزاب] .

● فما عند الله خير لمن اتقى و ﴿ ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ [١٤ : آل عمران] .

● ويقال للذين آثروا قيم الدين على متع الدنيا :

﴿ ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ﴾ [٧٠ : الزخرف] .

و ﴿ لهم أزواج مُطهرة ﴾ [٢٥ : البقرة] .

● ويتراءون فى أجمل صورة وأرفع منزلة :

﴿ هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون ﴾ [٥٦ : يسٰ] .

وإذا كان القرآن ضرب الأمثلة للنماذج الطاهرة فحدثنا عن مريم بنة عمران التى أحصنت فرجها ، فإنه فى الجانب المقابل قد وضع أمامنا للعبرة والعظة امرأة نوح وامرأة لوط ﴿ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما ﴾ [التحريم : ١٠] .

● ويأتى التحذير مباشرا وصريحا يقرر الواقع الملموس :

﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ﴾ .

[١٤ : التغابن]

● وتوضع النقط فوق الحروف فتكشف الآيات عن جانب من طبع المرأة ألا وهو إذاعة السر :

﴿ وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض ، فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا ؟ قال : نبأنى العليم الخبير ﴾ [التحريم : ٣] .

● وهن فتنة كما تحدث الناصح الأمين محذرا فى الحديث الشريف :

« ما تركت بعدى فى الناس فتنة أضر على الرجال من النساء » (١) .

« إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا فتنة الدنيا ، واتقوا فتنة النساء ، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء » (٢) .

نجانا الله ووقانا الفتنة ، وهدانا سواء السبيل وجعل لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين .

﴿ ربنا وتقبل دعاء ﴾

[٤٠ : إبراهيم] .

---

(١) صحيح مسلم .

(٢) صحيح مسلم .

ابن عبد ربه وطبائع النساء

هل تريد أن تضيف أعمارا إلى عمرك ؟!!

إذن تعال إلى التاريخ :

فسوف يصحبنا ابن عبد ربه إلى عالم النساء وأسراره ، بما فيه من عجائب وغرائب فيحدثنا عن الحليلة الصالحة ، والزوجة الموافقة ، ومن منا لا يتمنى أن يرزقه الله إياها ، ويغنيه بها عمن سواها ؟! .

ثم يقدم إلينا لطائف من أخبار النساء وطرائف من حياتهن ، لنزداد لهن فهما ومنهن قربا ، وبهن معرفة وأنسا ، مما يجعلنا أقدر على حسن اختيارهن ، وكيف لا ، وقد جعلنا نعايش من قيل عنه : عليم بأدواء النساء طبيب .. ولا ينبئك مثل خبير ! .

حتى إذا اطمأن إلى حسن اختيارنا راح يحدثنا عن المنجبات وأبناء السرارى والإماء ، والهجناء من الأولاد والأدعياء .

وقد يأسرنا الجمال ، ويضيق الصدر بما لا يقال ، بعد أن أضناه عشق الجمال فيصور ذلك كله عارضا رقة التشبيب ، وجميل الغزل متحدثا عما قد يكون من تزين وتطيب ، وما يكتب على العصائب من عبارات للحب مُصورة ، وعن الهيام معبرة ، ولا يفوته أن يصور ما يعترى المحبين من نحول وذبول ، وما يصاحب لحظات الوداع من حنين وأنين وآهات ودموع .

ولكنه يعود فيذكر بطبع الأنثى ؛ فليس لمخضوب البنان يمين ! .

ويحذرنا من أمثال تلك التى يتعوذ الشيطان منها !! .

ولا يفوته أن يحدثنا عما ينتهى إليه حال أولئك .. وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإنه قد راح يحدثنا عن أبغض الحلال ، وعما هو ألذ من ليلة العرس ، وعن الكراهية فى قمتها مما يجعلنا نستسلم قائلين معه : « إلى غير رجعة » .

وقد ينقطع الرجاء حيث يكون الفراق ، فتحترق قلوب وتسيل دموع .. ويتجلى الوفاء فى أروع صوره !! .

وأخيرا يعرض علينا نماذج للزعامة وحسن السفارة فيتيح لنا أن نعيش مع ثمانٍ منهن من صواحب عَلىّ ، وفدْن على معاوية وكان لهن معه شأن يذكر .

ولا يفوته أن يتناول ما سجلته الأمثال عن النساء ، مما جرى على كل لسان وأصبح آية فى الفصاحة والبيان ! .

الحق أقول : إنها تجارب كثيرة ، ومواقف مثيرة ، بها تتضح الرؤية ، وينكشف الغطاء ، وتنقشع السحب والغيوم ، ويذوب الجليد ، وتفتح مغاليق ، وتهدأ نفوس ، وتلتئم جراحات ، وكيف لا وسوف نضيف إلى خبرتنا خبرات ، وإلى أعمارنا سنوات وسنوات ؟! .

لقد قالوا :

ليس بإنسان ولا عالم من لا يعى التاريخ فى صدره
ومن درى أخبار من قبله أضاف أعمارا إلى عمره !!

وأخيرا أراك قد عرفت الرفيق على الطريق ... ففى أمان الله ودعواتى لك بالتوفيق ... مع ابن عبد ربه فى عقده الفريد !!

ولا يفوتنى أن أقدم إليهن دعواتى بالتوفيق :

ربى سألتُك باسْمِهِنَّهْ أن تَفْرِشَ الدنيا لَهُنَّهْ
بالوردِ إن سمحت يـ ـداك وبالبنفْسَجِ بعد هُنَّهْ
لِتطِلَّ شمُسك فى الصـ ـباح وكلُّ أم مُطْمئِنَّهْ